مسجد النور نيمخن : 27 يونيو 2025
موضوع الخطبة : السفر أسرار وأحكام

في فصل الصيف يباشر كثير من الناس الرحيل والسفر، حجوزات تؤكَّد وحقائِب تجهّز وأموال ترصد، يقصد الأكثر وجوهَهم قِبَل بلدانهم الاصل من أجل التنعّم والاستمتاع بأجوائها والتخفّف من مشاغل الحياة ومتاعبها. وهذا السفر هو فِطرة فطر الله تعالى النفس البشرية عليها. لقد كان العرب في الجاهلية يسافرون ويسيحون في الأرض، فجاء الإسلام فزكّى مبدأ السياحة وقوّاه، بل امتنَّ به على قريش حين ذكّرهم بأنه هيّأ لهم أسباب رِحلتين عظيمتين منتظِمتين: إلى اليمن تارة، وإلى الشام تارة أخرى، فقال سبحانه: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (قريش: 1، 2)
وسمّي السفر سفرًا لأنّه يسفر عن أخلاق العباد، فيظهر منها ما كان خافيًا، روى ابن أبي الدنيا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يثني على رجل فقال: "أسافرت معه؟ قال: لا، قال أخالطته؟ قال: لا، قال عمر رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو ما تعرفه".

عباد الله، لقد كان الناس في القديم مع حاجتهم إلى السفر واضطرارهم إليه يعانون في سلوك سبيله المتاعبَ ويتجرّعون الغصص نظرًا لقلة الإمكانيات وانعدام الأمن وطول المسافات، هذا فضلاً عن مفارقة الأهل والأبناء والأصحاب؛ ولذا قال المصطفى: "إن السفر قطعة من العذاب". والعذاب هنا هو الألم الناشئ عن المشقّة لما يحصل في السفر من ترك المألوف.
اما السفر في هذه الأزمان فهو يختلف عن نظيره في قرون مضت، فقد مهّدت الطرق، وجرت عليها الآلات بشتى أنواعها، فهي تسير بهم على الأرض أن شاؤوا، أو تقلّهم الطائرات إن رغبوا، أو تحملهم الفلك في البحر إن أرادوا، مما يؤكّد أهمية شكر الله تعالى على هذه المصنوعات السائرة وتلك الوسائل الباهرة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ .(إبراهيم: 32)
ومع مشقة السفر إلا أن فوائدَه ومنافعه واسراره تخفّف جزءًا من ذلك الألم، ولقد أجمل الشاعر بعضًا من تلك المنافع فقال
تغرّب عن الأوطـان في طلب العلا وسـافر ففي الأسفار خَمس فوائد
تفريـج هم واكتسـاب معيشـة وعـلم وآداب وصحبـة ماجـد
و من أعظم فوائد السفر كذلك، معرفة عظمة الباري سبحانه وقدرته بالنظر إلى ما أبدعه جل وعلا في هذا الكون من حيوان وموات وساكن وذي حركات، يقول الثعالبي رحمه الله تعالى: "من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علمًا بقدرة الله تعالى ويدعوه شكرًا على"
ومن أسرار السفر وفوائده ايضا أن كل عاقل يتذكّر أنه في هذه الدنيا يقطع سفرًا إلى الدار الآخرة، وأن محطة الوصول بعد سفر الدنيا هي الجنة أو النار، وزاد هذا السفر هو التقوى التي هي ثمرة الأعمال الصالحة، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197)

هذا و ينقسم الناس في السفر إلى قسمين: قسم أراد بسفره الخروج من المَلَل والسآمة والضيق والكآبة، فساح في الأرض تأمّلاً في خلق الله أو تزوّدًا من عِلم رسول الله، أو قصد بسفره صلة قريب أو أخ في الله تعالى، فهنيئًا لهؤلاء جميعًا تلك الخطوات، وبوركت تلك الرحلات. وقسم آخر اتخذ من السفر سبيلاً للمحرمات فهو يسافر ليكون بعيدا عن اعين معارفه قصد أن يتنكر لدينه وأن يتمرد على خالقه فيقترف كل صغيرة وكبيرة متجاهلا أن الله لاتخفى عليه خافية وأنه قريب من خلقه لايغفل ولا ينام فجدير بالعبد أن يستحيي من ربه ويراقبه.

إخوة الإسلام لقد عني الإسلام بالسفر عناية فائقة، فجعل له أحكاما ينبغي مراعاتها والحرص على اتباع السنة النبوية المشرفة فيها.
منها :أنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج أول النهار إذا أراد أن يسافر، وكان يستحب الخروج يوم الخميس، ودعا الله تبارك وتعالى، أن يبارك لأمته في بكورها.
وكان إذا استوى على بعيره كبر ثلاثا ثُمَّ يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ.
وكان يقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين، ويجمع بين الصلاتين: المغرب والعشاء، والظهر والعصر،تقديما وتأخيرا وهما من الرخص التي أنعم الله بها على هذه الأمة في حال سفرها، عن معاذ بن جبل: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس: أي قبل الزوال وقبل دخول وقت الظهرأخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر فيصليهما جميعا، وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعا ثم سار، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليها مع العشاء، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب. رواه أبو داود وقال الشيخ الألباني صحيح

ومن هديه صلى الله عليه وسلم ايضا أنه كان يقتصر على الصلاة المفروضة وركعتي الفجر والوتر، أما السنن الرواتب القبلية والبعدية فإنه كان يتركها في حال سفره حتى يرجع إلى المدينة.

وخفف الشرع الحنيف عن المسافر فزاد مدة المسح على الخفين إلى ثلاثة أيام بلياليها لما يلحق المسافر من مشقة في كثرة نزع جواربه وخفافه، عن علي رضي الله عنه قال: "جعَل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ ثلاثة أيَّام ولياليهنَّ للمسافر، ويومًا وليلةً للمقيم" رواه مسلم

ومن الامور التي يجب الحرص عليها على كل حال بر الوالدين، ووصل الأرحام، والإحسان إلى العباد، والصدقة وإعانة المحتاجين وغيرها وهي أسباب شرعية لحفظ العبد في نفسه وأهله وولده.

"أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِيَ مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إلَيَّ من أنْ أعْتَكِفَ في هذا المسجدِ -يعني: مسجدَ المدينةِ- شهرًا، و مَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ و لَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ، [و إنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"

الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الألباني | المصدر : السلسلة الصحيحة
الصفحة أو الرقم: 906 | خلاصة حكم المحدث : صحيح
التخريج : أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط))